

سورة الإخلاص

مكية

في قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة ، ومدنية في أحد قولي ابن عباس وقتادة والضحاك والسدي ، وهي أربع آيات وخمس عشرة كلمة وسبعة وأربعون حرفاً. {بسم الله} الذي له جميع الكمال ذي الجلال والجمال {الرحمن} الذي أفاض على جميع خلقه عموم الأفضال {الرحيم} الذي خص أهل وداده من نور الإنعام بالإتمام والأكمال. جزء : 4 رقم الصفحة : 712

واختلف في سبب نزول سورة {قل هو الله أحد} فروى أبو العالية عن أبي بن كعب : أن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنسب لنا ربك فنزلت. وعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن عامر بن الطفيل وأريد بن ربيعة أتيا النبي صلى الله عليه وسلم فقال عامر : إلى من تدعنا يا محمد ؟

فقال : إلى الله تعالى ، قال : صفه لنا ، أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب فنزلت ، واهلك الله تعالى أريد بالصاعقة وعامر من الطفيل بالطاعون. وقال الضحاك وقتادة ومقاتل : جاء ناس من أحبار اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك ، فإن الله تعالى أنزل صفته في التوراة فأخبرنا من أي شيء هو ، وهل يأكل ويشرب ، ومن ورث ومن يرثه فنزلت.

تنبيه : هو ضمير الشأن وهو مبتدأ وخبره الله ، وأحد بدل أو خبر ثان يدل على مجامع صفات الجلال كما دل الله تعالى على جميع صفات الكمال ؛ إذ الواحد الحقيقي ما يكون منزه الذات عن التركيب والتعدد وما يستلزم أحدهما كالجسيمة والتحيز والمشاركة في الحقيقة ، وخواصها كوجوب الوجود والقدرة الذاتية والحكمة التامة المقضية للألوهية. فائدة : جاء في الواحد عن العرب لغات كثيرة ، يقال : واحد وأحد ووحيد ووحاد وأحاد وموحد وأوحد

، وهذا كله راجع إلى معنى الواحد ، وإن كان في ذلك معان لطيفة ولم يجيء في صفات الله تعالى إلا الواحد والأحد.

وقوله تعالى : {الله} ، أي : الذي ثبتت إلهيته وأحديته لا غيره مبتدأ خبره {الصمد} وأخلى هذه الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى ، أو الدليل عليها. والصمد : السيد المصمود إليه في الحوائج ، والمعنى : هو الله الذي تعرفونه وتقرّون بأنه خالق السموات والأرض وخالقكم ، وهو واحد متوحد بالإلوهية ولا يشارك فيها وهو الذي يصمد إليه كل مخلوق لا يستغنون عنه ، وهو الغني عنهم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : الصمد هو الذي لا جوف له ، وقال الشعبي : هو الذي لا يأكل ولا يشرب ، وقال الربيع : هو الذي لا تعتريه الآفات ، وقال مقاتل بن حبان : هو الذي لا عيب

713

فيه ، وقال قتادة : هو الباقي بعد فناء خلقه ، وقال سعيد بن جبير : هو الكامل في جميع صفاته وأفعاله ، وقال السدّي : هو المقصود إليه في الرغائب المستغاث به عند المصائب. تقول العرب : صمدت فلاناً أصمده صمداً بسكون الميم إذا قصدته.

جزء : 4 رقم الصفحة : 713

وعن أبيّ بن كعب : هو الذي {لم يلد} لأنّ من يلد سيموت ، ومن يرث يورث عنه ففسر الصمد بما بعده. وينبغي أن تجعل هذه التفاسير كلها تفسيراً واحداً فإنه متصف بجميعها فكونه لم يلد لأنه لم يجانس ولم يفتقر إلى من يعينه ، أو يخلف عنه لامتناع الحاجة والفناء عليه لدوامه في أبديته ، والاقتصار على الماضي لوروده ردّاً على من قال الملائكة بنات الله ، أو العزيز أو المسيح أو غيره.

ولما بين أنه لا فصل له ظهر أنه لا جنس له فدل عليه بقوله تعالى :

{ولم يولد} لأنه لو تولد عنه غيره تولد هو عن غيره كما هو المعهود والمعقول ، فهو قديم لا أول له ، بل هو الأوّل الذي لم يسبقه عدم لأنّ الولادة تتكوّن ولا تتشخص إلا بواسطة المادّة وعلاقتها وكل ما كان مادياً أو كان له علاقة بالمادة كان متولداً عن غيره ، والله سبحانه وتعالى منزّه عن جميع ذلك.

{ولم يكن} ، أي : لم يتحقق ولم يوجد بوجه من الوجوه ولا بتقدير من التقادير {له} ، أي : خاصة {كفوّاً} ، أي : مثلاً ومساوياً {أحد} على الإطلاق ، أي : لا يساويه في قوّة الوجود لأنه لو ساواه في ذلك لكانت مساواته باعتبار الجنس والفصل ، فيكون وجوده متولداً عن الازدواج الحاصل من الجنس الذي يكون كالأمّ ، والفصل الذي يكون كالأب ، وقد ثبت أنه لا يصح بوجه من الوجوه أن يكون في شيء من الولادة ، لأنّ وجوب وجوده لذاته فانتفى أن يساويه شيء. وكان الأصل أن يؤخر الظرف ؛ لأنه صلة لكن لما كان المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى قدّم تقديماً للأهمّ ، ويجوز أن يكون حالاً من الممتكن في كفوّاً ، أو خبراً ، أو يكون كفوّاً حالاً من أحد وعطف هاتين الجملتين على الجملة التي قبلهما ، لأنّ الثلاث شرح الصمدية النافية لأقسام الأمثال فهي كالجملة الواحدة.

روى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يقول الله تعالى : كذّبي ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمني ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي يقول : لن يعيدني كما بدّاني ، وليس أوّل الخلق بأهون عليّ من إعادته ، وأما شتمه إياي فقله : اتخذ الله ولداً وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوّاً أحد". وقرأ حمزة بسكون الفاء والباقون بضمها ، وقرأ حفص كفوّاً بالواو وقفّاً ووصلاً ، وإذا وقف حمزة وقف بالواو.

وروي في فضائل هذه السورة أحاديث كثيرة منها ما روى البخاري عن أبي سعيد الخدري "أن رجلاً سمع رجلاً يقرأ {قل هو الله أحد} يردّها فلما أصبح أتى رسول الله صلى الله عليه

وسلم فذكر ذلك له ، وكان الرجل يتقللها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم "والذي نفسي بيده إنها لتعدل ثلث القرآن". فإن قيل : لم كانت تعدل ثلث القرآن ؟

جزء : 4 رقم الصفحة : 713

أجيب : بأن القرآن أنزل أثلاثاً ثلث أحكام ، وثلث وعد ووعيد ، وثلث أسماء وصفات

714

فجمعت هذه السورة أحد الأثلاث ، وهو الأسماء والصفات. وقيل : إنها تعدل القرآن كله مع قصر متنها وتقارب طرفيها ، وما ذاك إلا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده ، وكفى بذلك دليلاً لمن اعترف بفضلها.

ومنها ما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها "أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث رجلاً على سرية فكان يقرأ في صلاتهم فيختم ب {قل هو الله أحد} فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : سلوه لأي شيء يصنع ذلك ؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن فأنا أحب أن أقرأ بها ، فقال صلى الله عليه وسلم أخبروه أن الله تعالى يحبه".

ومنها ما رواه الترمذي عن أنس بن مالك "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأ {قل هو الله أحد} فقال صلى الله عليه وسلم وجبت قلت : ما وجبت ؟ قال : الجنة".

ومنها ما روى أنس أيضاً "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ {قل هو الله أحد} خمسين مرة "غفرت ذنوبه". ومنها ما روى سعيد بن المسيب "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ {قل هو الله أحد} عشر مرّات بنى الله له قصرًا في الجنة ، ومن قرأها عشرين مرّة بنى الله له قصرين في الجنة ، ومن قرأها ثلاثين مرّة بنى الله له ثلاث قصور في

الجنة ، فقال عمر : إذن تكثر قصورنا فقال صلى الله عليه وسلم أوسع من ذلك".
ومنها ما رواه الطبراني عن أبي هريرة رضي الله عنه "أنه صلى الله عليه وسلم قال : من قرأ {قل هو الله أحد} بعد صلاة الصبح اثنتي عشرة مرة فكأنما قرأ القرآن أربع مرّات ، وكان أفضل أهل الأرض يومئذ إذا اتقى". وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال : "من قرأ {قل هو الله أحد} في مرضه الذي يموت فيه لم يفتن في قبره ، وأمن من ضغطة القبر ، وحملته الملائكة بأكفها حتى تجيزه من الصراط إلى الجنة". وقد أفردت أحاديثها بالتأليف وفي هذا القدر كفاية لأولي الألباب.

ولها أسماء كثيرة ، وزيادة الأسماء تدل على شرف المسمى. أحدها : أنها سورة التفريد ، ثانيها : سورة التجريد ، ثالثها : سورة التوحيد ، رابعها : سورة الإخلاص ، خامسها : سورة النجاة ، سادسها : سورة الولاية ، سابعها : سورة النسبة ، لقولهم : أنسب لنا ربك ، ثامنها : سورة المعرفة ، تاسعها : سورة الجمال ، عاشرها : سورة المقشقة ، حادي عشرها : سورة المعودة ، ثاني عشرها : سورة الصمد ، ثالث عشرها : سورة الأساس ، قال : أسست السموات السبع والأرضين السبع على {قل هو الله أحد} ، رابع عشرها : المانعة لأنها تمنع فتنة القبر ونفحات النار ، خامس عشرها : سورة المحتضر لأنّ الملائكة تحضر لاستماعها إذا قرئت ، سادس عشرها : المنفرة لأن الشياطين

715

تنفر عند قراءتها ، سابع عشرها : سورة البراءة لأنها براءة من الشرك ، ثامن عشرها : المذكورة لأنها تذكر العبد خالص التوحيد ، تاسع عشرها : سورة النور لأنها تنور القلب المكمل للعشرين سورة الإنسان قال صلى الله عليه وسلم "إذا قال العبد : الله ، قال الله : دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي". فنسأل الله تعالى أن يجيرنا من عذابه ، ويدخلنا الجنة نحن وجميع الأحباب بغير حساب ؛ لأنه كريم حلیم وهاب.

جزء : 4 رقم الصفحة : 713

وما رواه البيضاوي من أنها تعدل ثلث القرآن فرواه البخاري ، ومن أنه صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقرأها الخ فرواه الترمذي والنسائي وغيرهما.

716

جزء : 4 رقم الصفحة : 713